

رسالة البلاغ الموجه للمقدم السيد عبد العزيز الدباغ (1)

تأليف العلامة الحاج أحمد سكيرج

تحقيق : د. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم، نحمدك يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولك الشكر على ما أسكرتنا به من خمرة التجاني في حضرة التحلي بصفات العبودية، من غير تخل عن مقتضياتها، ولم تواخذ بالجريرة (2) المنوطة بعدم القيام بحق شكرك، بل زدتنا من الإمدادات ما نسينا به العهد المأخوذ علينا في الأزل، فلم نقم في عالم الظهور مما نحن مطوقون به في الباطن، فلا حول ولا قوة إلا بك، فبجاه نبيك واسطة الخير، الواصل للخلق المتصل والمنفصل، ولا انفصال عن إمداداته في داري الفناء والبقاء في الإقبال والإدبار، ولا تكلنا إلى أنفسنا، وأدم سترك علينا، وأبلغه منا أركى سلام وأزكاه، وارض اللهم عن كل من والاه، وافتح أبواب القبول في أوجهنا حتى تدوم محبتنا بين أحبائنا فيك ولأجلك، فنستظل بهما تحت ظلك، متمتعين بالوداد المربوط بحبل رضاك، حتى نجتمع معهم بالحضرة المحمدية، كاشفا عنا كل حجاب يمنعنا من النظر إلى وجهك الكريم، فهناك يتم السرور بالمنى لي ولأحابي الذين ارتبطت بيننا وبينهم رابطة الأخوة في الله، في حضرة الغيب وحضرة المشاهدة عموما وخصوصا.

والسلام التام من حضرة الوصول العالية، أزهه لحضرة الأخ في الله، سليم الصدر، ورفيع القدر، الأديب سيدي عبد العزيز الدباغ بن المرحوم الشيخ محمد عبد الله الماجد، فقد وصلني منه أول كتاب، قاض بتعجيل الجواب، من غير أن أتأني في الخطاب، بواسطة الأخ في الله العارف بربه المتتور السريرة، سيدي الشيخ مدثر إبراهيم (3) عليه السلام والرحمة والبركة، فتلقيت الكتابين، ووضعتهما على الرأس والعين، فكانت تلك الوساطة ممن عرفتي بمقدار هذا السيد المقترح علينا كتابه ما لا بد من مساعدته عليه، ولقد طالعت رقيمه والنفس الرحمان يهب علي من أنفاسه، حتى كأني صرت بما داخلني من ذلك الخطاب دخلت من عالم الخيال لأرض السمسة (4) التي شاهدت بعيني فيها عينه، وما حال البين (5) بيني وبينه، فكان الأثير منا بشرا للمقابلة الروحية بما انطبع فيه من الصور المكهربة بمغناطيس سر التوجه النفسي في عالم المعنى، فنظرت ذلك الاتحاد باتحاد مرآة الأخوة الإيمانية، فكان المرثسم (6) في صفائها بل صورتها ذات آنية، أنا عبد العزيز الدباغ، فلم تأخذني استرابية (7) فيما أدلى به إلي من خالص إخلاص الود القلبي، فحل مني القلب في ظهر الغيب كما حللت منه ذلك القلب المنور، وما تنزله معي ذلك التنزل إلا لصدق الاعتقاد، والمعتقد دائما لا يضيع اعتقاده، ولا يذكر فيه من أي منتقد انتقاده.

وإن عصرنا هذا لعصر العجائب، فبينما الشيبية في إقبال على هدم ما شيده السلف من معالم الفضل، إذا بالمؤمنين من سلالة الفضيلة، يرفعون منارا للهدى، بصدق نية، وسلامة طوية،

-
- (2) :
- (3) 1 288
- (4) :
- (5) 1 126-131.
- (6) :
- (7) :

بحب أهل الله من السلف والخلف، ورائد العناية قاندهم في اطمئنان على سواء الطريق، لما يقربهم من الحق، ومن سيد الخلق عليه السلام، وما هذه الدنيا إلا دار الإمتحان، عمرها المغررون بمزاحمة الأجانب الذين رضوا إليها فشغلتهم عن الله، فهم في مراسح(8) اللهو خلعوا العذار، ورقصوا مع العذارى، وتشبهوا بهن، فهم متبرعون من الدين والدين متبرئ منهم، أما أهل الله وقد صاروا عندهم من قبيل المسخرة، فلم يصدهم ذلك عما هم قصدوه من التعلق بحبل الدين الذي صار غريبا في هذا العصر، فأيدهم الحق بروح منه، فساروا في الطريق، حتى أحرزوا على متمناهم طبق ما لديهم من التصديق.

فهم أحياء بين أموات، وأهل صلاح حقيقي بين مدعي مجاز الإصلاح، فأهل الدنيا أموات، إلا أن مخالطتهم سريعة العدوى، بمعاداة أهل الحق الذين ينتصر الله لهم بمحاربة هؤلاء الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا إليها فعمروها، وخرّبوا عمرهم، وفرحوا بما أتوه من شقائق زادت في غرور أمثالهم، فهم مثلة بين الخلق، ولعمري أن المغتر بهم لعماء قريب يندم، ولآت حين مناص، وما هم من الناس في شيء وإن زعموا أنهم من الناس.

وما الناس إلا الصالحون حقيقة

ففرجو لإخواننا المنتمين للإسلام توفيقا بقودهم لما فيه صلاح حالهم ومآلهم، ويعرفهم بحقيقة الإيمان، فيربطوا حبلهم بحبل أهل الله، فينقادوا لداعي الحق بحقيقة تصديق آمنين. أيها العزيز : قد فهمت مقصودك فهمت(9) هيمان الحائر الذي تظاهر بمظهر معرفة ما لم يعرفه بين من جهلوا أحواله، وهم أعرف منه بالذي تظاهر به، فأراد ستر حاله، فلم يهتدي للطريق التي يسلك منها خوف الفضيحة بين معتقديه.

لقد ظهرت بهذا المظهر في عين العارف بربه الشيخ مدثر، فرفعني فوق قدرتي، ونوه بي عند قوم هم أعرف مني وأعلى مقاما وأصدق حالا، وكدت أن أفتضح بينهم بما ليس لي به طاقة في حمل سره في طريق سره، ولست أكنم منكم هذا الأمر حتى لا تكونوا من الذين اغتروا بسماع أخبار فرغها الصادق في قالب حسن ظنه في المعتقد فيه، غير أنني أرجو أن يحقق الحق ما ظنه فينا ورآه فينا، وما ذلك على الله بعزيز.

أيها العزيز : يعز علي أن لا أعجل بإجابة اقتراحكم، فأردكم أولا إلى الشيخ مدثر، وعنده ما لدينا، بل عنده أزيد لتلقيه منا الإذن الصريح الشريف فيما لدينا، فأضاف إلى ما لديه ما وضعناه بين يديه، فلو أردتم ذلك بالحقيقة لطلبتم منه ذلك، فكل الصيد في جوفه، فهو ينبوع(10) السر الرباني المستتر بظل إحالته على الغير في مثل هذا الخير،

(8) :

(9) :

(10) :

ويزيد في الستر بإحالة مثلكم على مثلي، ولولا ستر الستار الذي ستر عيبي ونقصي من أعين الأحباب وهم كثيرون ما ردوا علي السلام، فضلا عن أن يبدعوني بالمكاتبة، فضلا عن أن يعتقدوا مثل اعتقادكم الذي أعليتموه في هذا الكتاب المجاب عنه، الذي أفرغتموه في أبداع مخاطبة، ولعمري أن سحر خطابه الحلال قد أنساني ما أنا عليه من النقص، حتى قمت لإجابتم بهذه الأسطر التي أسطرها من غير تأني(11)، ويدي ترتعش(12) من مخاطبة أمثالكم الذين منحوا من حسن الظن ما أفاقوا به أقرانهم، فلقد شاهدتم قبل تقلدكم بالعهد المحمدي في هذه الطريقة الأحمدية، وبعد التقيد بحبلها ما شاهدتموه بما شرح الله به صدركم، وعرفكم به من المعرفة بقدر هذه الطريقة المحمدية ما عرفتم من أسرارها، وقد عرفتم فألزموا، فالوارثة تعظم بقدر الملازمة، والسر الأعظم في النيات بصدق إخلاص بين العام والخاص.

أيها العزيز : ولقد عرفني الشيخ المدثر بكم، فكانت معرفتي بكم عن يقين، ولست بمنكر لما أسداه إلينا من التعرف بأمثالكم، فإني أقدر قدر ذلك، ولقد قال بعض العارفين : من أحدث أبا في الله أحدث الله له سبعين بابا من المعرفة به، فنرجو أن يكون لنا حظ وافر من هذه المعرفة، فنتفتح تلك الأبواب في أوجها لنكون من العارفين به، مع قصور باعنا ووقعنا في مورد الجهل بالحق على الحقيقة في هذه الطريقة، غير أننا لا ندع شكر الحق في هذا المقام على ما أسداه من إقبال أمثالكم علينا بحسن اعتقاد، وإن الإعتقاد يبلغ لغاية المراد، بمقتضى : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، وقد نفع الله بذلك كثيرا من الأحباب، وأرجو أن أنتفع بما انتفعوا به مني، فإني أراهم تقدموا أمامي وأنا واقف، وقد حصلوا على عهد الأمان وأنا خائف، زادهم الله بسطة في العلم والجسم آمين، وإني أبشركم بأنكم سيكون لكم شأن بما تؤسمناه من وجوه ألفاظ رسالتكم التي أعربت كما كان بضميركم من حسن الظن وجميل الإعتقاد، الذي لا يظهر به إلا الخاصة من العباد، وأنتم منهم في الصف الأول، وعلى مثلكم في السلوك في هذه الطريقة المعول(13)، فاحمد الله على ذلك.

أيها العزيز : لقد تعين علي أن أسارع لإجابتك بعدما تحققت باطلاعك على شروط الطريقة وأركانها، وأنتك من أجل المتمسكين بحبلها، وقد وجدت في نفسي انشراحا يشرح ما أطلعتموني عليه من تلك المبشرات التي يراها الرجل الصالح أو ترى له، وابتهجت نفسي بذلك أي ابتهاج، فلم أتوقف في إجازتكم بما لدينا طبق المرغوب، وفي ضمن ذلك مآرب أخرى، وما هي إلا أن يكون لنا ولكم إقبال من الحق علينا بواسطة الحضرة المحمدية دنيا وأخرى، فتكون من المحبوبين الذين انتفعوا ونفعوا، فكانت لهم الحسنى وزيادة، فلا حرمننا الله من ذلك جميعا، فإن الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله(14)، وما أرى استجازتكم لنا إلا قصدا لنفعهم بالإرشاد، بإذن صحيح خاص بعد الإذن الصريح العام، وها أنا ذا أتتبع فصول كتابكم مجيبا عنها بحسب الوارد الذي يرد علي، معتمدا على الحق وهو الموفق، فأقول :

- (11) :
(12) :
(13) :
(14) :

أما ما صدرتم به مكتوبكم من تنزلكم معي ووصفي بتلك الأوصاف التي ذكرتم حسبما قد اعتقدتم، فذلك أول برهان على حسن اعتقادكم، وعلى الإعتقاد تشيد قصور الفتح المشيدة لأهل الربح، ولا يصعد إليها إلا من كان من أهل الخصوصية، وذلك عنوان على القابلية لما يرد من حضرات الوصول، والتداني وفق الأماني، من حيث عدم الرضا عن النفس، فمادام المرید غير مكتف بما عنده إلا وهو في ازدياد الترقى، فإذا اكتفى وقف في موقف الرجوع بالقهقري(15) ولو بلغ ما بلغ، وما قيل للعبد عبد إلا ليقوم دائما في خدمة معبوده، وقد أفلح عبد الحق وربح، ولم يفلح عبد الدنيا وخسر، وقد دعا عليه الرسول عليه السلام بالتعاسة، وإن القناعة من الإزدياد من الخير حرمان، وقد تجليت في مظهر كأني أنظر فيه إلى باطنك من خلال عباراتك، فتحققت بصدق طلبك.

وإن سر الله في صدق الطلب كم رءي في أصحابه من العجب

ولم يبق إلا أن أشكر الحق على المظهر الذي ظهرت لكم فيه، حتى أمكنكم بسببه طلب قبول وفادتكم علي لإفادتكم مما لدي، فكانت هذه الوفاة الروحية بريئة من التصنع(16) النفساني، بداعية النفس الرحماني، أن يدخل لحضرة القبول من أي باب طرقه، ويتيسر له الوصول لمناه ومقصده الذي وفقه الحق حتى سلك مسالكه وطرقه، وتلك عادة الله مع الصادقين من المریدين والمرادين، فلم يضع لهم في المسير عقاب بعير لطويتهم(17) الصادقة، وصدق نيتهم التي هي إكسیر الأعمال الظاهرة والباطنة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

أما شرح حالكم الذي أعربتم به عن الطريقة التي كنتم سالكين عليها تبعا لأسلافكم الكرام إلى أن اعتنقتم الطريقة التجانية، فذلك من نتائج العمل الصالح والسعي الراجح، فقد ثبت لدينا على لسان الثقة من خواص أحباب سيدنا رضي الله عنه أن كل مرید في غير طريقتنا إذا كان محبوبا عند شيخه يوفق للتقيد بحبل هذه الطريقة، حيث قال سيدنا فيما بلغنا عنه : من كان محبوبا عند شيخه يوجه إلي(18) وهذه كرامة شاهدها كثير ممن فتح الله عليهم في طرق الشيوخ الذين رفع الله منارهم في طرق الهداية، ولم يكن انتقالكم عن تلك الطريقة إلا في حال ترقى في مدارج(19) العناية بكم لما هو أرفع من حضرات الزلفى(20) في طرق الوصول إلى الحق من الجادة الحنيفية السمحة، والمقصود من السلوك هنا الوصول إليه تعالى من أقرب المسالك، وإن كانت كل الطرق توصل إليه على يد الوسطة الأعظم عليه السلام، وقد اذخر الحق الطريقة الأحمدية لأهلها فلا بد من سلوكهم عليها ورجوعهم إليها، ولو كانوا من المقيدین بحبل غيرها خلفا عن سلف، مما يكاد أن يعد محالا، وهو خروجهم عن طرقهم التي ورثوها، ومذاهبهم التي عملوا عليها منذ زمان، وحصلوا في سلوكهم على ربح لا يستهان به، وظفروا بفتح وصلوا به لنيل المبتغى، فإن سائق السعادة يسوقهم إليها، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها، فلتحمد الله الذي وفقك لها، وقد أراك من المبشرات ما تبت به فؤادك، فكنت على بصيرة من أمرك الذي حصلت به مرادك، وهل بعد الإجتماع بأعيان الصحابة والمذاكرة معهم والإستفادة منهم في حضرات الغيب من كرامة للمريد، وهل بعد رؤية النبي (ﷺ) مثل تلك الرؤيا التي رأيت

: (15)

: (16)

: (17)

143 2 (18)

: (19)

: (20)

من مزيد، بعد رؤية الشيخ رضي الله عنه التي كادت أن تعد يقظة، وجاءت كفلق الصبح في تلك المبشرات التي لا يحوم الشيطان حولها بإيهام أو إيهام، ولم تكن منكم أضغاث أحلام.

ولقد دعيتكم العناية فأجبتكم الدعوة، فتيسر لكم الأخذ بمن كان في هذه الطريقة قدوة ونعم القدوة، وإنني متحقق بما للعارف العالم السيد المقدم ألفا هاشم (21) من الإذن الصحيح، وقد حصلتكم على إجازته وهي الذخيرة العظمى، ولو اكتفيتكم بها لكفتمكم، ولولا تأثركم من عدم مساعدتي لكم فيما اقترحتكم علي لقلت لكم كفاكم ما لديكم من إذنه، ولكن همتكم تواقفة للمزيد من الخير، مع اتصال الرابطة بالشيخ قدس سره بما لدينا من أتم واسطة، فنحمد الله الذي من علينا بها، والمنة لله في ذلك، فهو الموفق والهادي لأقوم طريق.

ولقد نظرنا إلى حالكم، وما استفهمتونا عنه مما يوصلكم لغاية آمالك، ولولا أن المستشار أمين، وبذل النصح من وراثة الأمين عليه السلام، لضربت عن هذا المقام صفحا، فإن نظرتي غير نافذة، وتجارتي غير نافذة، ويحق أن يتنزل علي قول العامة : قد استمسك غريق بغريق، وقد استسمنت ذا ورم (22)، ونفخت في غير ضرم (23)، لا عن غلط منك في ذلك، وإنما حسن ظنك سلك بك في هذه المسالك، على أن نيتك لا تضيع، ولا يكون عملك سدى (24) في هذا المقام الرفيع، لذلك يتعين علي أن أرشدك إلى أمر مهم في الطريقة، وهو ملازمة الأدب مع الإخوان في الطريق، خصوصا المقدمين منهم، من ترك مزاحمتهم والتظاهر عليهم، فإن الظهور يقصم الظهور، والتحدي والتعصب ليس من الطريقة في شيء، فإياك ثم إياك من التداخل فيما بين الجميع بما يؤدي إلى منازعة أو خصام، أو نصر بعض على بعض لأغراض نفسانية، فقد سرى هذا الأمر بين المقدمين، وصارت الطريقة ذات أحزاب، انسدت في وجوههم فيها الأبواب، وانقطع حبل الوصلة بين جلهم، خصوصا ممن يشير إلى نفسه بالخصوصية.

(21)

1283

:

:

1349

11

39

136

7

21 2

.22 6

: (22)

: (23)

: (24)

أما في البلدة التي كثرت فيها الزوايا وتعدد فيها المقدمون فإن الرزية كل الرزية في حق غير المسامح في حقه، ولا بد من إغضاء الطرف منه عن سوء أخيه مريداً كان أو مقمداً، فالمسامحة في الحقوق من شيم المفتوح عليهم، ما لم يضع بذلك حق الله، ولا حق للمقدم في التصدر في زاوية، بل هو كيف ما كان بمنزلة أخ مع إخوة في الجلوة والخلوة، وإن كانت مراعاته متأكدة على غيره إن أراد في طريقه مبرة الشيخ رضي الله عنه ومبرة ملقنه، وفي ذلك مزية وأي مزية، فإياك ومزاحمة المقدمين، وكن معهم سلماً: ولا ترتق في سلم التكبر عليهم، ليكون مقامك هو الراقي بك غير مرتق فيه بنفسك، إن أردت نفع نفسك ونفع أبناء جنسك، وتكون مقمداً حقيقياً في الطريق.

فبهذا الحال بعد القيام على قدم الجد في آداب الحقوق الواجبة عليك من صلاة وغيرها ومن الصلوات والقربات يتمر غرسك، وتطيب نفسك، وتهب عليك من حضرة الوهب نفحة اختصاصية من الفتح اللدني، تحرك منك البواعث التي تتشلك (25) من أحوالك، ويصلح بها جميع حالك، ويشرق بها منك كل حالك، فتري بعين العناية كامل التوفيق عياناً أمامك، يمهد لك طريق السلوك، أخذاً بيدك في المزالق التي زلق فيها كثير ممن ظنوا بأنفسهم الإستحقاق لما تصدوا إليه، ويدخل بك لحضرة الحق من باب الحقيقة حتى يجلسك على كرسي القبول، في محفل أهل الشريعة الذين يشيرون إليك بأيد الترحيب، بعد أن يقوموا أمامك مذعنين (26)، فتنتوج بتاج العز، ليجبر قلبك الكسير بالقيام بحق العبودية التي عندها خوطبت في سرك بلسان الحق : قم لعبادتي وارشد إليها عبيدي، فحينئذ تكون ممن حصلت لهم إجابة الدعوة من غير دعوى، مأموراً في ظهر الغيب وحضرة الشهادة بداعية ادع إلى سبيل ربك، فتتلقى من جبريل الإلهام آية العرفان، وينفخ في صور صورتك الباطنية إسرافيل الإكرام، فتتحقق لك الكرامة في حضرة المكرمة، وتكون ممن شكروا حق النعمة في هذه الأمة، وما ذلك على الله بعزيز.

أما إعلامكم لنا بما حصل لكم من السرور بمطالبة بعض مؤلفاتي وانتفاعكم بها، فذلك عن صفاء مرءاتكم النورانية، فنظرتم لذلك بعين الرضا، (وعين الرضا عن كل عيب كليلية)، وقد جرت عادة الحق في الخلق أن ينتفع كل سليم انتفاعاً خاصاً، ويزداد انتفاعه بقدر ماله من حسن ظن المعتقد فيه، لكونه يرى بعين الإعتقاد التي لم يرى فيها دون الإنتقاد منتصباً في مكانها، فلا جرم إذا انتفع المعتقد، وخاب سعي المنتقد، وأرجو من الله أن لا يجعل علي ما كتبته حجة، في سلوك هذه المحجة، فإني لم أرد سوى النفع، والله المسؤول أن يحقق ذلك للإخوان وغير الإخوان، ويجعله في كفة ميزان الحسنات التي لا تؤخذ في تباعة، إنه قادر على ذلك، وأما ما رجوتموه منا فقد حصرناه في مطالب يحتاج فيها إلى بسط مقال نختصره لكم بالمعيد في كل مطلب.

(25) :

(26) :

:

طلب التجديد لكم في الطريقة، هذا المطلوب قد تلقيناه منكم بانشرح صدر وطيب نفس، ولم يحل لنا أدنى تردد في إجابتم إليهم، فها نحن أذناكم وأجزناكم إجازة تامة طبق المطلوب، مطلقة عامة وفق المرغوب، حسبما لدينا في الطريقة وأذكارها وأسرارها وفضلها وفضائلها، وكل ما هو راجع إليها بما هو مقرر عن الشيخ فيها، وما هو مقرر من مراتبها الظاهرة والباطنة إذنا خاصا لكم في الورد والوظيفة وذكر الجمعة، وإجازة عامة في تلقينها لمن طلبها منكم بشروطها المقررة وأركانها المعتبرة، وأما الأوراد اللازمة فهي للعموم، ولا تلقن إلا بمراعاة الشروط، وأما الأذكار الغير اللازمة فتلقن كذلك للمريد من هذه الطريقة ولمن طلبها من غيرهم(27) ممن له صدق محبة في الجناب الأحمدى من غير شروط التزام، وقد غلا هنا كثير من المتقدمين فيشترطون الإلتزام فيها، مع أن ذكرها غير لازم، واللازم هو الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة، وهو معروف، ولا بأس بتلقين غير الإخوان الأذكار الغير اللازمة لقول سيدنا رضي الله عنه : لقنوا الناس صلاة الفاتح لما أغلق ليموتوا على الإيمان.

ومن باب أولى تلقين غيرها إلا ما كان من قراءة الفاتحة بنية الإسم الأعظم وحزب البحر، فلا يلقنا إلا للخاصة من الإخوان، والأولى والأفضل الإكثار من صلاة الفاتح لما أغلق بدلا عن سائر الأذكار لخلوها عن الذكر للأغراض، وما لها من الفضل العظيم الذي لا حد له، وهذه الإجازة لكم شاملة لما اشتملت عليه جواهر المعاني وغيرها من كتب الطريقة، من جميع تأليفنا فيها وفي غيرها، لتقوموا مقامنا في الإجازة بما شئتم من ذلك حسب الأهلية، وما تحمله آنية من تأذنون له بذلك من عموم الناس وخاصيتهم، بعد قبولهم لشروط الطريقة في المريدين لها، وشرط محبة الشيخ رضي الله عنه على مريد غير الأذكار اللازمة، واشترط حب أهل الله أجمعين في حق الجميع من غير انتقاد على واحد منهم ولا على مريديهم وسائر أحوالهم، فإن طريقتنا مبنية على التسليم المطلق لأهل الله، مع اعتقاد جميل في كل واحد منهم حيا كان أو ميتا، مع ترك زيارة الإستمداد منهم وزيارة التعلق بهم، وحسن الظن في سائر أهل لا إله إلا الله، والنفور من معاديهم، وترك مخالطة مؤذيهم بقدر الإمكان، فإن مجالسة المبغضين سم يسري، وهذا كله بعد القيام بالمفروضات أتم قيام، وبالأخص الصلاة فهي عندنا في الطريقة الأساس الذي شيدت عليه، فالمحافظة عليها من أكد الشروط على المريد التجاني، مع زيادة اعتناء بها في أدائها في وقتها جماعة، وهذا الأمر لا يحتاج فيه للوصية عليه لأنه مأمور به شرعا، ولكن لا بد من الحض عليه للقيام به قبل كل شيء، فالمريد التجاني من أشد الناس محافظة على الصلاة وأركانها وأوقاتها جمعا وانفرادا، ولا يعد تجانيا إلا من أحرز على الإذن في تلك الأذكار ممن عنده التقديم

:

(27)

:

...

الصحيح، والتلقين الصريح، كما تلقينا ذلك عن شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد
 العبدلوي عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني عن سيدنا رضي الله عنه، وتلقينا ذلك أيضا
 عن شيخنا آخر قضاة العدل بفاس الشيخ سيدي حميد بناني(28) عن خطيب الحضرة الشريفة
 السيد علال الفاسي(29) عن المقدم سيدي بوعزة(30) نجل الخليفة المعظم سيدي الحاج علي
 حرازم برادة مؤلف جواهر المعاني، عن والده المذكور، وعن المقدم سيدي محمد بن عبد الواحد
 بناني المصري(31) عن الخلفية المذكور، فسيدي بوعزة أخذ عن

		31	1		(28)
					(29)
					:
		Passeport			
			1314		12
219					
	66				
	.246	4		.151	
				.302	2
					(30)
					:
					1218
	218				3
91			226	1	
		.19			
					(31)
					:
3		272			
	1				160
	:			.58	

والده بلا واسطة، وبواسطة المصري كذلك، ولدينا أسانيد أخرى صحيحة الإتصال بالشيخ رضي الله عنه، نكتفي منها بما ذكرناه، والذي نعتمده في سلوكنا في الطريقة سندنا العبدلاوي المذكور قدس سره، وقد تعرضنا لذلك في مؤلفاتنا في الطريقة، فإله ينفعكم وينفع بكم وعلى يدكم آمين.

:

طلبكم الإجازة في كتبنا ومحفوظاتنا ومروياتنا، فها نحن نخبركم بذلك مما ألفناه في الطريقة وخارجها فروعاً وأصولاً، أبواباً وفصولاً، بحسب ما لدينا في ذلك من إجازات مشايخنا، مما تلقينا منهم الإجازة فيه مشافهة ومكاتبة بشروط ذلك، طبق ما بينا ذلك في كتابنا قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، وهو ثبت جمعنا فيه أسانيدنا ومروياتنا من علوم وكتب وحديث وغير ذلك، غير أنه لا تروق في نظري الإجازة في غير كتب الحديث والذكر الحكيم، فإن الإجازات في نظري تنقسم إلى من هو من قبيل الشهادات للتحصيل على الرواتب المعينة من الحكومة، وهي لا تجدي نفعاً في طريق السلوك، لكونها قاصرة على نفع دنيوي، ولا يحتاج فيها إلى سند، لأن المدار فيها على التحصيل، والإدراك الذي عليه في فهم العلوم التعويل، والسند عندي في ذلك من قبيل ضياع الوقت، إلا ما كان من معرفة الكتب ومؤلفيها، فهو للمعتقد فيه البركة، وذلك نظراً لذكر الصالحين ومالهم من المآثر التي من جملتها تأليفهم، وإنما النفع الخاص عندي مع النفع العام أتحققه في العلوم النورانية والكتب المؤلفة فيها.

والحاصل أن كل علم يشترك في تحصيله الأجنبي والمسلم يحتاج فيه إلى إجازة (32)، لأن المدار فيه على التحصيل للقواعد وفهم المقاصد، وأما ما ينفرد فيه المسلم، فإما أن يكون نورانياً محضاً كالحديث والقرآن، فهذا السند فيه من الدين، وإما أن يكون من علم الأصول والفروع، فالمدار فيه على تحصيل قواعده من العارفين به، ولا يحتاج فيه إلى سند إلا على وجه التبرك لا غير، ولا فائدة في السند في اللغة والشعر والمنطق والنحو والمعقولات، وغير ذلك من علم الطبيعة والتنجيم في الكتب المؤلفة فيها، إلا من الحثيثة التي ذكرناها من معرفة أصحاب الفن المجاز فيه.

وقد كان أخبرني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني (33) أنه كان يقول عن الشيخ قدس سره : العلوم على أربعة أقسام : علم يقسي القلب وهو علم الفقه والجمود عليه، وعلم يورث الكبر وهو علم النحو وما يرجع إليه، وعلم يزهد في الدنيا وهو علم التاريخ وما أنيط به، وعلم ينور القلب وهو علم الحديث وما يتعلق به، ولا شك أن المنور للقلب هو الذي يحتاج فيه إلى سند، والسند فيه من الدين، وعلى كل حال فلدينا إجازات من شيوخنا اشتملت على الأسانيد المنوطة بكتب الفقه والحديث والقراءات والكلام وغيرها، حسبما أفضنا القول في ذلك في كتابنا قدم الرسوخ المشار له، وإذا يسر الله طبعه نوجه لكم منه نسخاً، وقد أجزناكم بجميع ذلك إجازة تامة عامة لتجزوا بها من شئتم، وأنتم أهل لذلك، إلا ما كان من بعض الكتب في الطريقة التي لا إجازة لنا من أربابها، فنحن لا نجيز فيها إلا بالأذكار المشتملة عليها من الوجهة التي فيها الإذن لنا من أسيادنا قدس سرهم، وقوفاً مع

(32)

(33)

الجادة في الطريق، وحسبنا الله ونعم الوكيل من الترامي على ما ليس لنا به علم، وانتحال أسانيد لم يكن لنا بها اتصال بين ذوي العلم والفهم، (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)(34).

:

في طلب الجواب عن أسئلة أوردتموها.

:

عمن أخذ الطريقة بالمراسلة، هل هو كمن أخذها بالمبايعة يدا بيد ؟

الجواب عن ذلك أن سر الأخذ بالمشافهة أتم من سر الأخذ بالمراسلة، وأنت خبير بأن الصحبة لا تتم إلا بالإجتماع المتعارف، نعم الرابطة تتصل بمجرد تلقي الإذن عن صح لديه بشفافهة وبمراسلة، وقد كان الشيخ رضي الله عنه يرسل من طلب منه الإذن في الطريقة ويجيزه بها، ولم يجتمع ممن راسلهم إلا بالقليل من أصحابه الذين شدوا له الرحلة، وقد وجه لجماعة منهم الإذن بغير كتاب، حتى أنه وجه الإذن مع غير الآخذين عنه طريقه فيبلغوه لمن تلقاه عنه بواسطته، وهذا من أغرب ما وقع في سند الطريقة لبعض أصحابه، فكانت مراسلتهم مثل المشافهة معه بالمبايعة المربوطة بحبل الطريقة، ولا شك أن الأخذ بالمراسلة كالأخذ يدا بيد في التحصيل على فضل الطريق والإنخراط في زمرة أهلها المرادين فيها والمريدين لها من عامة وخاصة، ولا فرق في ذلك بين المرید المجتمع بالمقدم وبين الأخذ عن هذا المقدم بمراسلة، إلا ما كان من سر النظرة والشفافهة فهي أعظم نفعا في الطريق وغيرها، غير أن التقيد بحبل الطريق لا فرق فيه بين المراسلة وغيرها كما بيناه، وكفى دليلا على صحة ذلك فعل الشيخ رضي الله عنه وإقتداء أكابر أصحابه(35) به في ذلك إلى الآن وحتى الآن، وبالله التوفيق.

:

عمن أنكروا على أخذ الطريقة بالمراسلة قائلاً : أخذك هذا لا ينظمك في سلك سيدي أحمد التجاني، فهل إنكاره صحيح أم لا يلتفت إليه ؟ وحينئذ فما يلزمه في الإفتيات على عمل العلماء العاملين ؟

الجواب عن ذلك أن هذا الإنكار صادر عن جهل بالطريق، فلا ينبغي الالتفات إليه، لكون المراسلة منتزلة منزلة الأخذ مشافهة، كما ثبت ذلك عن الشيخ قدس سره، وجرى على عمله عمل المقدمين بعده في مشارق الأرض ومغاربها، وإن كانت المشافهة أعظم نفعا بسبب سر النظر الموروثة، ولا يلزم هذا المنكر إلا ما يلزم الجاهل المنكر على العلماء، وحسبه أن لا ينتفع بهم، والجهل أفبح خصلة في الشخص، خصوصا إذا كان مركبا غير بسيط، كفانا الله شره، والله الموفق.

:

هل المعتبر في التجديد حصول الإذن ؟ أو قرب السند ؟ أو زيادة المعرفة ؟

الجواب على ذلك أن الإتصال بالشيخ رضي الله عنه من جهة أي مقدم صحيح الإذن كاف في النسبة في هذه الطريقة، ولا يحتاج إلى تجديد فيها ما دام لم ينقطع عنها المرید، مع تحققه بصحة تقديم ملقنه، إلا أنه لما كثر الدخلاء في التقديم، وكثر انقطاع المدعين، كان تجديد الإذن عن المقدمين من شيم الموفقين، لتصح له النسبة بالسند مطلقا عاليا أو نازلا، ولقد رأيت علماء الإصطلاح معتنين بالسند العالي، وأنا في نفسي من جهة ذلك شيء، لكون كثرة الشيوخ في النازل قد زادت أهمية كبرى للتبرك بهم(36)، إلا أن العالي أهم من حيث قلة العدد من الشيوخ فيه، أقرب للسلامة من الإنتحال، خصوصا إذا تحقق حصول الإجتماع في السند، أما النازل فقد يدخله الإنتحال بالنسبة في الأخذ، فلذلك لم يقع الإعتناء به مثل الإعتناء بالعالي والله أعلم.

(36)

:

فالتجديد بهذه الملاحظة في العالي أعلى وأرفع قدرا، وقد يعتبر التجديد أيضا من جهة المرید المنقطع عن الطريق فيدخل به بعد خروجه، وينبغي التشديد عليه وعدم الموافقة على تجديد الإذن له إلا بعد تحقق توبته حتى لا يعود للطبيعة، وقد اتضح أن المعتبر في التجديد هو قصد تحقق الرابطة بالسر الساري من الشيخ رضي الله عنه لمريديه بواسطة مقدميهم الذين لهم الإذن الصحيح، كيف ما كان التقديم عالیا أو نازلا مطلقا أو مقيدا، مع اعتبار كمال الخصوصية في المقدم للتلقين علما وعملا وفضلا، ويتفاوت ذلك بحسب المقاصد، ولكن السند العالي له مزيد اعتبار عند المعتنين بالأذكار والأسرار، وفي هذا كفاية.

:

هل زيارة الأولياء أحياء وأمواتا إذا كانت بقصد الصلة العامة لا بقصد التعلق والإستمداد، مع وفور محبتهم ونهاية تعظيمهم، من حيث أنهم عباد الله وخيرة خلقه لا غير فيها منع يؤدي الزائر بذلك الشرط لقطعه عن الطريق والعباد بالله؟ وإذا قلنا بعدم المنع فما الذي يترتب على من أسند المنع لمولانا القطب المكتوم؟

الجواب : إن المرید العارف بمعنى الزيارة غير ممنوع منها، ولا يكون عارفا بها إلا من كان يتحقق بمعنى الإخلاص ويعمل بمقتضاه، وقد قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح(37) رحمه الله : العامة أمثالنا لا يعرفون العمل لله، يعني أنهم لا يخلصون في أعمالهم، فالأولى هو المنع من الزيارة مطلقا سواء كانت زيارة تعلق واستمداد، أو زيارة اعتبار، أو قصد الصلة العامة، وقد قال الشيخ الأكبر ابن عربي(38) قدس سره فيما نحفظه منقولا عنه : ما سماح شيخ مریده في الإجتماع بغيره قط، وفي المنية(39) :

308 1 (37)
(38)

1 638
291 281 288 188
.241 2 281 6
311 5 108 3
.133 316
(39)

1266
60 98
1592 398 33
5 103 1
.413

:

سواه لم ينفع به ولا المزار

وكل من أخذ عن شيخ وزار

فالأولى عدم الزيارة ووجوب المحافظة على حرمة الشيوخ، فإنها من حرمان الله، وقد
أنشد في الفتوحات :

فقم بها أدبا لله بالله

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله

وقد علمت أنه لا يترتب شيء على من أسند المنع للشيخ رضي الله عنه، لأنه هو الوارد
عنه، والتفرقة بين زيارة التعلق والإستمداد وبين غيرها إنما هو في حق العارف، والعارف غير
محجر عليه كما هو مقرر.

:

هل على التجاني من منع إذا قصد إحياء ليالي رمضان بالذكر ولم يتيسر له وحده، ولم
يجد من الإخوان ممن هم على طريقتة من يستعين بهم على الإحياء، ومن عادة الهمم الفاترة أنها
تأنس للنشاط باجتماع بعضها مع البعض، وكان بالقرب منه جماعة خلوتية يذكرون الله في كل
أحايينهم، خصوصا ليالي رمضان، فيحيونها كلها، فيذهب إليهم ويذكر معهم كذاكرهم، لا يقصد
المدد، ولا يقصد التزام ما يذكرونه، وذكرهم إنما هو للأسماء السبعة، بل يقصد الذكر العام،
ونيته وتعلقه بشيخه لا غير، بل لا يرى في الوجود مثل شيخه حتى يتعلق به أو يستعطفه في
شيء من أمر دينه أو دنياه، وإذا كان ثم منع مع هذا التحفظ فما معنى قول الرماح : واعلم يا أخي
أن من جملة اللين أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو
الشناوية(40) أو الرفاعية(41) أو غيرهم، فالواجب أن تذكر كأحدهم في النعمة والصوت، ولا
تخالقهم فتشوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر(42).

فالجواب والله الموفق للصواب : أن إحياء ليالي رمضان بمثل ما ذكرتم ليس عليه عمل
الشيخ رضي الله عنه ولا عمل أصحابه، ولقد بلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أنه أمر بسد الزاوية
ليلة السابع والعشرين من رمضان، ونهى الإخوان عن عمارتها بالذكر(43)، كما بلغنا توبيخ
الشيخ رضي الله عنه لبعض العلماء من أصحابه لما دخل لحلقة ذكر بعض الطرق،

(40)

1028

:

1 .181

(41)

578

140 1

4

174 1

262

.266

(42)

1 .167

(43)

.52

حيث حضره وأخبره بأنه كان من الواجب عليه أن يخرج من صفهم(44).

وعليه فالمتعين هو عدم الدخول مع هؤلاء الذاكرين خشية صدور ما ينقطع به المرید عن طريقته المقيد بحبلها، كيف ما كانت هذه الطريقة، وما ذكره في الرماح لا عمل عليه بين خواص الأحباب(45)، ولا يوافق عليه أحد فيه، وقد كان يقول بعض علماء الطريق : إن الرماح كل شيء فيها ماعدا الطريقة فليست فيها، لاشتمالها على أمور ليست من طريقتنا، وقد كان عزم بعض أعيان علماء الطريق اختصارها والوقوف مع المتعين في الطريقة من الفقه المنوط بها، فالحزم كل الحزم للمرید هو عدم الدخول في صف الذاكرين لغير أذكار طريقته من طرق الشيوخ قدس سرهم، ولا يعتمد على ما في الرماح مما نقلتموه عنها في هذا المقام، والذي ينبغي هو حمل ما في الرماح على من يدخل على جماعة من تلك الطرق، ويخشى أن يؤدي خروجه من صفهم في المحل الذي لا يسعه وحده دونهم إلى تغيير قلوب ومدابرة وعداوة، فهذا يتعين عليه أن لا يخرج ولا ينكمش انكماش المنقبض الغير الراضي بعملهم، فإن ذلك يؤدي إلى مثل ما ذكرناه، وذلك في ليالي رمضان وغيرها.

والأولى هو عدم الحضور معهم مادام يجد فسحة لعدم الحضور معهم، ولقد كان دأب الخاصة من المقدمين والأحباب في إحيائهم للليالي رمضان بصلاة التسبيح، فهي نعم الذخيرة بدلا عن سائر الأذكار والتراويح،

(44)

:

:

.226

...

:

(45)

:

:

:

:

.13

ثم لا يهتمكم ما قلناه في الرماح مع جلاله مؤلفها رحمه الله، فإنه رضي الله عنه ملأها علما وفوائد، فكانت مجمع ذخائر مما هو من الطريق وما هو ليس منها، اقتضى جلبه فيها تميم وتصنيفها في ذلك المقوال البديع، فجزى الله مؤلفها خيرا وأعظم له أجرا، وقد أخبرناكم بما بلغنا عنها، ولا علينا فيمن انتقد ذلك، إن كان لديه ما ينقض به ما أبرمناه(46)، وذكرناه عن الله عنه تلقيناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

:

ما حكم الله في المصيبة العامة، والبلية الطامة، من اقتحام الناس للباس البرنيطة(47) على اختلاف أنواعها، وأكبر داع لهم في ذلك حب التشبه بالكفرة اللئام، إلا أن بعضهم يدعي جدلا أنما يلبسها لوقاية الشمس، ولكن نجده يلبسها في غير أوقات الشمس، وبعضهم يذهب بها إلى الجامع إلى آخره.

الجواب عن هذا أنه ينظر أولا إلى مذهب اللابس لها والحكم المقرر فيه، أما التشبه بالكفرة فهو مذموم عند الأئمة الأربعة وغيرهم، ولم يبق إلا حكم لباسها ضرورة، فينبغي اتباع قول إمامه واختلاف علماء فروع مذهبه، ونحن في مذهبنا المالكي لباس البرنيطة حرام لا يؤدي إلى الكفر، وكذلك ما شاكلها مما هو من زي الكفار، إلا ما كان علامة على الكفر كعقد زنار، فهو علامة على ردة صاحبه، والحضور معهم في كنائسهم للصلاة معهم لا بقصد التفرج، وعلى كل حال فلا يلبس البرنيطة لا لضرورة شرعية أتم عاص، وإن للعب بها في مسرح لهو، فأحرى إن تشبه في لباسها بالكفرة، فهذا إلى الكفر أقرب، واعتبر أمره إذ لبسها ودخل إلى بلدة إسلام لا يعرفونه، فإنهم يعتقدون فيه أنه كافر، ولو أظهر لهم أنه مسلم فإنهم لا يصدقونه، وإذا لبس الكافر ثياب مسلم ودخل لبلدة الكفر فمن لا يعرفونه فإنهم يعتقدون فيه أنه مسلم فيعاملونه بزیه كما يعامله الأولون، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما ما طلبتم منا من الدعاء لكم فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا ويرزقنا وإياكم العافية في الدارين، ويحشرنا في زمرة سيد الثقلين، ويكون لنا بما كان به لخاصة أصفيناه، ويؤيدنا في جميع الحركات والسكنات، وأن لا يحرمانا من النظر إلى وجهه الكريم، وفي الختام أرفع سلامي إلى سائر الإخوان بطرفكم خصوصا العارف بالله مدثر إبراهيم، والشيخ العيد محمد، والشيخ الطيب، والشيخ محمد البشير، وكل من هو منكم وإيكم، ونحن على العهد نرعى الزمام(48)، فدوموا على العهد والسلام في التاريخ صدره، حرره خديم الحضرة المحمدية التجانية عن عجل، عبد ربه أحمد سكيرج آمنه الله في 8 ذي القعدة الحرام عام 1350هـ.

(46) :

(47) :

(48) :